HADİS TETKİKLERİ DERGİSİ
JOURNAL OF HADITH STUDIES/مجلة بحوث الحديث
XVI ⋆ 1 ⋆ 2018

دراسة الروايات الحديثية والتاريخية التي تبين سِنَّ السيدة عائشة عندما تزوجها النبي

“Study of Hadīth and Historical Narratives that Show the Age of Āisha when the Prophet Harried Her”

عبد العزيز محمد الخلف*

Abstract: This research attempts to discuss the statements that determine the age of Āisha when she married the Prophet peace be upon him, where a novel came in Bukhārī and Muslim specify that the age was six years when it was held and nine years when he entered, while others see that the age was fourteen years when he held And eighteen years when he marreid it, and was the basis for their reliance on the historical comparison between them and the age of her sister Asmā’, in addition to other recent accounts cited by them. The research concluded that al-Bukhārī’s version is correct، that it is safe from the opposition، and that what they claimed from the historical assessment between Āisha's age and names is incorrect.

Citation: Abdulazīz Muhammed el-KHALEF، “Dirîsâtü’r-Rivâyâti’l-hadîsiyye ve’t-târîhiyyeti’l-letî tübeyyinü sinne ‘Âişe ‘ndemâ tezevvecehâ’n-Nebiyy” (in Arabic)، *Hadis Tetkikleri Dergisi (HTD)*، XV/2، 2018، pp. 59-79.

Key words: Āisha, Age of Marriedge, History, Hadīth, Marriade of the Prophet.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد؛

فقد ثار لغط حول سِنِّ السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جرّ هذا اللغط طعناً بكتب السنة التي أوردت الرواية القائلة بأن سنها كان ست سنوات عندما عقد عليها وتسع سنوات عندما بنى بها،[1] وجعل بعضهم يعيب على العقل المسلم بأنه أسير التقديس للموروثات الفقهية وحبيس ما حوته أدراج السنة النبوية، وأن الواجب أن يدافع عن المطاعن التي يُطعن بها على الإسلام بالوسائل الممكنة، ولو أدى ذلك إلى رد

* الأستاذ المساعد، عبد العزيز محمد الخلف، الحديث وعلومه، كلية الإلهيات، جامعة غازي عنتاب، تركيا، abdulazizelhalaf@gantep.edu.tr

[1] هذا ما تفيده رواية البخاري ومسلم.

روايات البخاري ومسلم في ذلك.

ونهدف من هذا البحث أن نحقق الأهداف التالية؛ (أ) بيان مدى تماسك الروايات الحديثية والتاريخية المحدِّدة لسِن السيدة عائشة، (ب) بيان مكانة الأدلة التي يستند إليها من يرى أن الروايات الحديثية غير صحيحة وغير منسجمة مع الواقع التاريخي، (ج) وبالتالي الخلوص إلى تحقيق القول في سِنِّ السيدة عائشة.

سرت في هذا البحث وفق منهج استقرائي أعد فيه إلى كتب السنة المصادر فأستقرأ منها الروايات المتعلقة بتاريخ ميلاد عائشة رضي الله عنها، ومن ثَمّ تاريخ زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أحاول أن أحشد الأدلة والقرائن التي تقوي أحد الأقوال. كما أستعين بالمنهج التحليلي الذي يمكنني من سبر أغوار النصوص وإزالة التعارض الذي قد يظهر من خلالها. ولا أغفل المنهج المقارن كأداة أقايس فيها النصوص بعضها ببعض. سأسير في هذا البحث وفق الخطة الآتية: أولاً: الروايات التاريخية المحددة لسن السيدة عائشة في ولادتها وزواجها. ثانياً: الأدلة التي استند عليها من طعن بهذه الروايات وأوجه الطعن. ثالثاً: النقد الحديثي لروايات الفريقين. رابعاً: القرائن التي ترجح أحد القولين. خامساً: نتائج البحث وخلاصته. والله أسأل أن يوفقنا إلى الاهتداء إلى الصواب وأن يسدد خطانا ويعصمنا من الزلل، إنه القادر على ذلك، هو حسبنا ونعم الوكيل.

أولاً: الروايات التاريخية المحددة لسن السيدة عائشة في ولادتها وزواجها.

وردت العديد من الروايات التي تبين سِنِّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمدتها ما اتفق على تخريجه الشيخان؛ البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهو الحديث الذي ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها إذ تقول:

"تَزَوَّجَنِي النَّبِي صلى الله عليه وسلم وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَزَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لأَنْهَجُ، حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ. فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضُحًى،

فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِين."[٢]

وتحديد سن عائشة رضي الله عنها حين عقد النبي صلى الله عليه وسلم عليها بـ (ست سنين)، وحين بنى بها بـ (تسع سنين) لم يكن اجتهاداً للعلماء حتى ينظر في صوابه من خطئه، وإنما هو نقل تاريخي ورد من قول صاحبة الشأن نفسها عائشة رضي الله عنها، وليس من كلام أحد عنها، ولا من وصف مؤرخ أو محدث، ولذلك فإن الواجب في هذا المقام هو إثبات صحة النقل أو إثبات عكسه.[٣]

وقد أورد البخاري هذا الحديث من طريق هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها في خمسة مواضع من صحيحه،[٤] ورواه مسلم في صحيحه من طريق هشام بن عروة،[٥] ومن طريق الزهري عن عروة،[٦] ومن طريق الأسود عن عائشة،[٧] ورواه النسائي من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة،[٨] ومن طريق ابن أبي مليكة عن عائشة،[٩] ومن طريق أبي عبيد عن ابن مسعود.[١٠] ورواه الطبراني في الكبير من طريق القاسم بن محمد عن عائشة،[١١] ومن

---

[٢] البخاري، في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة، وقدومها المدينة، وبنائه بها، حديث رقم (٣٨٩٤)، ومسلم، في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (١٤٢٢).

[٣] على أننا يجب أن لا نغفل الناحية المجتمعية التي كانت تقبل مثل هذا الزواج ولا تستنكره، فقد كانت عائشة مخطوبة قبل زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من جبير بن المطعم بن عدي، ولم يكن ذلك مستنكراً أبداً.

[٤] انظر: البخاري، الموضع السابق، والحديث رقم (٣٨٩٦)، وفي كتاب النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار، حديث رقم (٥١٣٣)، وباب تزويج الأب ابنته من الإمام، حديث رقم (٥١٣٤)، وباب من بنى بامرأة، وهي بنت تسع سنين، حديث رقم (٥١٥٨).

[٥] مسلم، في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (١٤٢٢).

[٦] مسلم، في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (١٤٢٢).

[٧] مسلم، في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (١٤٢٢).

[٨] النسائي، في النكاح، باب البناء بابنة تسع، حديث رقم (٣٣٧٩).

[٩] النسائي في الكبرى، في النكاح، إنكاح الرجل ابنته الصغيرة، وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عائشة أم المؤمنين في ذلك، حديث رقم (٥٣٤٥).

[١٠] النسائي في الكبرى، في النكاح، إنكاح الرجل ابنته الصغيرة، وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عائشة أم المؤمنين في ذلك، حديث رقم (٥٣٤٦).

[١١] الطبراني، المعجم الكبير، المكتب الإسلامي، بيروت: دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٠٥/١٩٨٥، المجلد الثالث والعشرين، ص. ٢٢.

طريق عبد الملك بن عمير عن عائشة،[١٢] فهذه ثمانية طرق لهذا الحديث أوردها أصحاب الكتب الستة والطبراني.

فالحديث ثابتٌ سنداً، ولاسيما أن هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها وردت في أصح الكتب الحديثية؛ البخاري ومسلم.

ثانياً: الأدلة التي استند عليها من طعن بهذه الروايات وأوجه الطعن

يزعم أصحاب هذا الرأي[١٣] أن سِن عائشة حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤ سنة وحين بنى بها كان عمرها ١٧ أو ١٨ سنة، ويستندون في ذلك إلى المقايسة بين الأحداث التاريخية الثابتة –بزعمهم– وإلى روايات حديثية أو تاريخية أخرى غير التي استند إليها أصحاب الرأي الأول، ومن أهم أدلتهم:

١- المقايسة التاريخية

وهذا هو عمدة أدلتهم في إثبات رأيهم، حيث يقولون:

إن كتب التاريخ تكاد تتفق على الخط الزمني لأحداث البعثة النبوية، من حيث استمرار البعثة لـ ٢٣ سنة، منها ١٣ سنة في مكة قبل الهجرة، و١٠ سنوات في المدينة بعد هجرة النبي وصحبه الكرام، وأن البعثة النبوية كانت عام (٦١٠ م)، والهجرة كانت عام (٦٢٣ م)، ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في (٦٣٣ م). والمفروض وفق هذا الخط المتفق عليه –بناء على ما قاله أصحاب الرأي الأول– أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج (عائشة) قبل الهجرة للمدينة بثلاثة أعوام، أي في عام (٦٢٠ م)، وهو ما يوافق العام العاشر من بدء الوحي، وكانت تبلغ من العمر (٦) سنوات، ودخل بها في نهاية العام الأول للهجرة، أي في نهاية عام (٦٢٣ م)، وكانت تبلغ (٩) سنوات، وذلك ما يعني حسب التقويم الميلادي أنها ولدت عام (٦١٤ م)، أي في السنة الرابعة من بدء الوحى حسب رواية البخاري ومسلم.

ثم يردفون هذا التدقيق التاريخي بقولهم: إن هذا وهم كبير، لأسباب عدة يذكرون منها:

أ. حساب عمر السيدة (عائشة) بالنسبة لعُمْرِ أختها (أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين)

---

[١٢] الطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق، المجلد الثالث والعشرين، ص. ٢٩.

[١٣] إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع: http://www.youm7.com/story/2008/10/16

حيث تقول كل المصادر التاريخية: إن (أسماء) كانت تَكْبُرُ (عائشة) بـ(١٠) سنوات.[١٤] كما تَرْوي ذات المصادر بلا اختلافٍ بينها، أن (أسماء) ولدت قبل الهجرة للمدينة بـ (٢٧) عاماً، ما يعني أن عمرها مع بدء البعثة النبوية عام (٦١٠ م) كان (١٤) سنة، وذلك بإنقاص (١٣) سنة من عمرها قبل الهجرة، وهي سنوات الدعوة النبوية في مكة. وبما أنها تكبر (عائشة) بـ (١٠) سنوات، فإنه يتأكد بذلك أن سن (عائشة) كان (٤) سنوات مع بدء البعثة النبوية في مكة، أي أنها ولدت قبل بدء الوحي بـ (٤) سنوات، وذلك عام (٦٠٦ م)، ومؤدَّى ذلك بحسبة بسيطة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تزوجها في مكة في العام العاشر من بدء البعثة النبوية (٦٢٠ م) كان عمرها (١٤) سنة، وبنى بها بعد (٣) سنوات وبضعة أشهر، أي في نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية، عام (٦٢٤ م)، فيصبح عمرها آنذاك (١٤+٣+١= ١٨سنة)، وهي السن الحقيقية التي تزوج فيها النبي الكريم عائشة.[١٥]

ب. حساب عمر (عائشة) بالنسبة لوفاة أختها(أسماء)

إذ تؤكد المصادر التاريخية السابقة بلا خلاف بينها أن (أسماء) توفيت بعد حادثة شهيرة مؤرخة ومثبتة، وهي عقب مقتل ابنها (عبد الله بن الزبير) على يد (الحجاج) عام (٧٣ هـ)، وكانت تبلغ من العمر (١٠٠)سنة كاملة،[١٦] فلو قمنا بعملية طرح لسِنِّ (أسماء) من عام وفاتها (٧٣ هـ)، وهي تبلغ

---

[١٤] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨/١٩٨٨، المجلد الثامن، ص. ٣٨١، وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤١٥/١٩٩٤، المجلد السابع، ص. ٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤١٥، المجلد الثامن، ص. ١٤، وقد عزوا هذه الرواية لأبي نعيم الأصبهاني. وقد ذكر أبو نعيم، في معرفة الصحابة، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٩/١٩٩٨، المجلد السادس، ص. ٣٢٥٦، في ترجمة أسماء فقال: "كانت أخت عائشة لأبيها، وكانت أسن من عائشة، ولدت قبل التأريخ بسبع وعشرين سنة، وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين". ويظهر من هذا النص عدم التدقيق التاريخي، لأنه إذا كانت ولدت قبل التأريخ بـ٢٧ سنة، فهذا يعني أنها ولدت قبل البعثة بـ١٤ سنة وليس ١٠ سنوات. وقد ترجم لها الذهبي في سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧/٢٠٠٦، المجلد الثاني، ص. ٢٨٨، وقال: "وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة".

[١٥] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

[١٦] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق: المجلد الثامن، ص. ٣٨١، وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق: المجلد السابع، ص. ٧، وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق: المجلد الثامن، ص. ١٤، وابن عساكر، تاريخ دمشق، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥/١٩٩٥، المجلد التاسع والستين، ص. ٩، وقد عزوا هذه الرواية لأبي نعيم الأصبهاني، وهو في معرفة الصحابة له: المجلد السادس، ص. ٣٢٥٦.

(١٠٠) سنة فيكون (١٠٠-٧٣=٢٧ سنة) وهو عمرها وقت الهجرة النبوية، وذلك يتطابق كلياً مع عمرها المذكور في المصادر التاريخية، فإذا طرحنا من عمرها (١٠) سنوات- وهي السنوات التي تكبر فيها أختها (عائشة)- يصبح عمر (عائشة) (٢٧-١٠=١٧سنة) وهو عمر (عائشة) حين الهجرة، ولو بنى بها النبي صلى الله عليه وسلم في نهاية العام الأول يكون عمرها آنذاك(١٧+١=١٨ سنة) وهو ما يؤكد الحساب الصحيح لعمر السيدة (عائشة) عند الزواج من النبي.[١٧]

وما يعضد ذلك أيضاً أن (الطبري) يجزم بيقين في كتابه (تاريخ الأم م) أن كل أولاد (أبي بكر) قد ولدوا في الجاهلية.[١٨]

وذلك ما يتفق مع الخط الزمني الصحيح، ويكشف ضعف رواية البخاري، لأن (عائشة) بالفعل قد ولدت في العام الرابع قبل بدء البعثة النبوية.

ج. حساب عمر عائشة مقارنة بفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يذكر ابن حجر في كتابه الإصابة أن فاطمة ولدت عام بناء الكعبة، والنبي صلى الله عليه وسلم ابن (٣٥) سنة، وأنها أكبر من عائشة بـ (٥) سنوات، فهذا يعنى أن عائشة ولدت والنبي صلى الله عليه وسلم يبلغ من العمر أربعين سنة، وهو بدء نزول الوحي عليه، ما يعني أن عمر عائشة عند الهجرة كان يساوي عدد سنوات الدعوة الإسلامية في مكة، وهي (١٣) سنة، وليس (٩) سنوات.[١٩]

٢- الأدلة الحديثية التي يستندون إليها

أ. ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أسماء السابقين في الإسلام، وذكر منهم: أسماء بنت أبي بكر، وعائشة وهي صغيرة، وكان إسلامهما قبل أن يجهر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة،

---

[١٧] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

[١٨] انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، بيروت: دار التراث، ط ٢، ١٣٨٧، المجلد الثالث، ص. ٤٢٦، وقد ذكر الطبري أن أبا بكر تزوج في الجاهلية زوجتين: قتيلة بنت عبد العزى، وأم رومان بنت عامر، وتزوج في الإسلام: أسماء بنت عميس وحبيبة بنت خارجة، وله من كل منهن أولاد، بعضهم ولدوا قبل الإسلام وبعضهم بعد الإسلام، فلا يصح الجزم بأنه ما ولد له في الإسلام ولد. وقد ذكر الطبري أن عائشة ممن ولد قبل الإسلام.

[١٩] ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، المجلد الثامن، ص. ٢٦٣. إلا أنه نقل عن الواقدي قوله إنها ولدت وعمر رسول الله ٣٥ سنة، ثم ذكر الراجح عنده أنها ولدت قبل البعثة بسنة أو أكثر بقليل، وأنها أسن من عائشة بخمس سنين.

وذلك قبل أن ينقضي من عمر البعثة النبوية ثلاث سنوات،[٢٠] وبالطبع فإن هذه الرواية تدل على أن عائشة قد أسلمت قبل أن يعلن الرسول الدعوة في العام الرابع من بدء البعثة النبوية، يما يوازي عام (٦١٤ م)، ومعنى ذلك أنها آمنت على الأقل في العام الثالث أي عام (٦١٣ م)، وهذا يعني أن رواية البخاري التي تذكر أنها ولدت بعد البعثة بأربع أو خمس سنوات غير صحيحة، لأن هذه الرواية تذكر أنها كانت مولودة قبل ذلك، بل وأسلمت بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الجهر بالدعوة، فالحساب السليم لعمرها يؤكد أنها ولدت في العام الرابع قبل بدء الوحي، أي عام (٦٠٦ م)، ما يستتبع أن عمرها عند الجهر بالدعوة عام (٦١٤ م) كان ثماني سنوات، وهو ما يتفق مع الخط الزمني الصحيح للأحداث، وينقض رواية البخاري.[٢١]

ب. أخرج البخاري نفسه أن عائشة قالت: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ."[٢٢]

يقول البحيري: ولا أدري كيف أخرج البخاري هذا، فعائشة تقول إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين، وذلك قبل هجرة الحبشة كما ذكَرَت، وتقول: إن النبي كان يأتي بيتهم كل يوم، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهذه الزيارات، والمؤكد أن هجرة الحبشة إجماعاً بين كتب التاريخ كانت في العام الخامس من بدء البعثة النبوية، وذلك يوافق عام (٦١٥ م)، فلو صدقنا رواية البخاري أن عائشة ولدت في العام الرابع من بدء الدعوة عام (٦١٤ م)، فهذا يعني أنها كانت رضيعة عند هجرة الحبشة، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبوي) وكلمة أعقل لا تحتاج توضيحاً، ولكن بالحساب الزمني الصحيح تكون عائشة في هذا الوقت تبلغ (٤ قبل بدء الدعوة، + ٥ قبل هجرة الحبشة = ٩ سنوات) وهو العمر الحقيقي لها آنذاك.[٢٣]

ج. أخرج الإمام أحمد في مسند عائشة: «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة

---

[٢٠] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، المجلد الثالث، ص. ٤٩. ونقله ابن كثير عن ابن إسحاق.

[٢١] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

[٢٢] البخاري، في الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده، وفي مناقب الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٥).

[٢٣] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال: "مَن؟"، قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً، قال: "فمن البكر؟" قالت: أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر،»[٢٤] وهنا يتبين أن خولة بنت حكيم عرضت البكر والثيب-المتزوجة سابقاً-، على النبي صلى الله عليه وسلم، فهل كانت تعرضهن على سبيل جاهزيتهن للزواج، أم على أن إحداهما طفلةٌ يجب أن ينتظر النبي بلوغها النكاحَ؟ المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضهن للزواج الحالي بدليل قولها: (إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً) ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة في ذاك الوقت طفلة في السادسة من عمرها، وتعرضها خولة للزواج بقولها (بكراً).

د. أخرج الإمام أحمد أيضاً عن خولة بنت حكيم حديثاً طويلاً عن خطبة عائشة للرسول، ولكن المهم فيه ما يأتي: «قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبِئُ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ،»[٢٥] والمعنى ببساطة أن المطعم بن عدي -وكان كافراً- قد خطب عائشة لابنه جبير بن مطعم قَبْل النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر يريد ألا يخلف وعده، فذهب إليه، فوجده يقول له: لعلّي إذا زوجت ابني من عائشة يؤمن بدينك، وهنا نتوقف مع نتائج مهمة جداً وهي: لا يمكن أن تكون عائشة مخطوبة قبل سن (٦) سنوات لشابٍّ كبيرٍ- لأنه حارب المسلمين في بدر وأحد- يريد أن يتزوج مثل جبير، كما أنه من المستحيل أن يخطب أبو بكر ابنته لأحد المشركين وهم يؤذون المسلمين في مكة، مما يدل على أن هذا كان وعداً بالخطبة، وذلك قبل بدء البعثة النبوية، حيث كان الاثنان في سن صغيرة، وهو ما يؤكد أن عائشة ولدت قبل بدء البعثة النبوية يقيناً.[٢٦]

هـ. أخرج البخاري عن عائشة قالت: لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ، {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: ٤٦]، قالوا: والمعلوم بلا خلاف أن سورة القمر نزلت بعد أربع سنوات من بدء الوحي، بما يوازي سنة (٦١٤ م)، فلو صدقنا رواية البخاري تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة، ولكن (عائشة) تقول: "وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ" أي: أنها طفلة تلعب، فكيف تكون لم تولد بعد؟ ولكن

---

[٢٤] أحمد بن حنبل، المسند، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢١/٢٠٠١: المجلد الثاني والأربعين، ص. ٥٠٢.

[٢٥] أحمد، المسند، مصدر سابق: المجلد الثاني والأربعيه، ص. ٥٠٢.

[٢٦] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

الحساب المتوافق مع الأحداث يؤكد أن عمرها عام (٤) من بدء الوحي، عند نزول السورة كان (٨) سنوات، كما بيّنا مراراً، وهو ما يتفق مع كلمة: "جارية ألعب".

و. أخرج البخاري أن رسول الله قال: «لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ»،[٢٧] فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكسه، فالحديث الذى أورده البخاري عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت: كنت ألعب بالبنات -بالعرائس- ولم يسألها أحدٌ عن إذنها في الزواج من النبي، وكيف يسألها وهي طفلةٌ صغيرةٌ جداً لا تعي معنى الزواج، وحتى موافقتها في هذه السن لا تنتج أثراً شرعياً؛ لأنها موافقة من غير مكلف ولا بالغ ولا عاقل.[٢٨]

وبعد أن ساقوا تلك الأدلة التي تسند مذهبهم بدؤوا في نقد سند الرواية التي يحتج بها أصحاب القول الأول، فقالوا:

جاء الحديث الذي ذكر فيه سن أم المؤمنين بخمس طرق وهي:

١- حدثني فروة بن أبي المغراء: حدثنا علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة.

٢- حدثني عبيد بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه.

٣- حدثنا معلى بن أسد: حدثنا وهيب، عن هشام بن عروة، عن عائشة.

٤- حدثنا محمد بن يوسف: حدثنا سفيان، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة.

٥- حدثنا قبيصة بن عقبة: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن عروة.

قالوا: وكما نرى ترجع كل الروايات لراوٍ واحدٍ وهو عروة بن الزبير الذي تفرد بالحديث عن أم المؤمنين عائشة، وتفرد بروايته عنه ابنه هشام، وفي هشام تكمن المشكلة، حيث قال فيه ابن حجر: "وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: كان مالك لا يرضاه، بلغني أن مالكاً نَقَم عليه حديثه لأهل العراق، قَدِم الكوفة ثلاث مرات، قدمةً كان يقول: حدثني أبي، قال سمعت عائشة، وقَدِم الثانية فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقَدِم الثالثة فكان يقول: «أبي عن

---

[٢٧] البخاري، في النكاح، باب لا ينكح الأب الثيب وغيرها إلا برضاها، حديث رقم (٥١٣٦)، ومسلم، في النكاح، باب استئذان الثيب بالنطق، حديث رقم، (١٤١٩).

[٢٨] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

عائشة."[٢٩]

قالوا: والمعنى ببساطة أن هشام بن عروة كان صدوقاً في المدينة المنورة، ثم لما ذهب للعراق بدأ حفظه للحديث يسوء، وبدأ يُدَلِّس –أي: ينسب الحديث لغير راويه، ثم بدأ يقول: عن أبي، بدلاً من سمعت أو حدثني، والمعنى أنه في علم الحديث كلمة سمعت أو حدثني هي أقوى من قول الراوي: "عن فلان"، والحديث في البخاري هكذا يقول فيه: "هشام عن أبي" وليس سمعت أو حدثني، وهو ما يؤيد الشك في سند الحديث.

ثم النقطة الأهم أن الإمام مالك قال: إن حديث هشام بالعراق لا يقبل، فإذا طبقنا هذا على الحديث الذي أخرجه البخاري لوجدنا أنه محقق، فالحديث لم يروه راو واحد من المدينة، بل كلهم عراقيون، ما يقطع أن هشام بن عروة قد رواه بالعراق بعد أن ساء حفظه، ولا يعقل أن يمكث هشام بالمدينة عمراً طويلاً، ولا يذكر حديثاً مثل هذا ولو مرة واحدة، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي في كتاب الموطأ للإمام مالك، وهو الذى رأى وسمع هشام بن عروة مباشرةً بالمدينة، فكفى بهاتين العلتين للشك في سند الرواية في البخاري.[٣٠]

ثالثاً: النقد الحديثي لروايات الفريقين

١- نقد رواية البخاري ومسلم

أعلَّ الفريق الثاني رواية البخاري ومسلم بعلتين:

الأولى: أن عروة بن الزبير انفرد بهذا الحديث، وانفرد به عنه ابنه هشام.

الثانية: أن هشام مدلّس، ولم يكن مالك يرضى حديثه في العراق، وهذا الحديث مما لم يحدثه إلا في العراق، بدليل أن الرواة عنه كلهم عراقيون.

ونقول في الجواب عن هذه العلل:

أما العلة الأولى: وهي انفراد عروة بالرواية عن عائشة، وانفراد هشام بالرواية عن أبيه، فهي

[٢٩] انظر: المزي، تهذيب الكمال، مصدر سابق: المجلد الثلاثين، ص. ٢٣٩.

[٣٠] انظر: إسلام البحيري، زواج النبي من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة، مقال منشور على موقع اليوم السابع:http://www.youm7.com/story/2008/10/16

علة غير صحيحة.[٣١] فإن للحديث طرقاً متعددة نذكر منها:

١- طريق هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، وقد ذكره البخاري في خمسة مواضع من صحيحه.[٣٢]

٢- رواه مسلم في صحيحه من طريق الزهري عن عروة عن عائشة.[٣٣] وهذا يثبت عدم انفراد هشام برواية هذا الحديث عن أبيه.

٣- ورواه مسلم أيضاً من طريق الأسود عن عائشة.[٣٤] وهذا يثبت عدم انفراد عروة برواية هذا الحديث عن عائشة.

٤- ورواه النسائي من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة.[٣٥]

٥- ورواه النسائي أيضاً من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة.[٣٦]

٦- ورواه أيضاً من طريق أبي عبيد عن ابن مسعود.[٣٧]

٧- ورواه الطبراني في الكبير من طريق القاسم بن محمد عن عائشة.[٣٨]

٨- ورواه أيضاً من طريق عبد الملك بن عمير عن عائشة.[٣٩]

---

[٣١] مع أن الانفراد ليس علة دائماً، فقد ينفرد الراوي الثقة الملازم لشيخه كثيراً ويكون تفرده مقبولاً، ويمكن أن يكون التفرد علةً، كما إذا تفرد راوٍ ضعيف قليل الملازمة برواية عن شيخ كثير الحديث. انظر: عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دمشق: دار الفكر ، ط ٣، ١٤٠١/١٩٨١، ص. ٤٠١.

[٣٢] انظر: البخاري، في النكاح، باب لا ينكح الأب الثيب وغيرها إلا برضاها، حديث رقم (٣٨٩٦)، وفي كتاب النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار، حديث رقم (٥١٣٣)، وباب تزويج الأب ابنته من الإمام، حديث رقم (٥١٣٤)، وباب من بنى بامرأة، وهي بنت تسع سنين، حديث رقم (٥١٥٨).

[٣٣] مسلم، في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (١٤٢٢).

[٣٤] مسلم، في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (١٤٢٢).

[٣٥] النسائي، في النكاح، باب البناء بابنة تسع، حديث رقم (٣٣٧٩).

[٣٦] النسائي في الكبرى، في النكاح، إنكاح الرجل ابنته الصغيرة، وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عائشة أم المؤمنين في ذلك، حديث رقم (٥٣٤٥).

[٣٧] النسائي في الكبرى، في النكاح، إنكاح الرجل ابنته الصغيرة، وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عائشة أم المؤمنين في ذلك، حديث رقم (٥٣٤٦).

[٣٨] الطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق: المجلد الثالث والعشرين، ص. ٢٣.

[٣٩] الطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق: المجلد الثالث والعشرين، ص. ٢٩.

فهذه ثمانية طرق لهذا الحديث أوردها أصحاب الكتب الستة والطبراني.

وبهذا تنتفي العلة الأولى، ومع أن العلة الثانية لم يبقى لها تأثير بعد نفي العلة الأولى، ولكنا سنجيب عنها أيضاً.

العلة الثانية: أن مالكاً لم يكن يرضى حديث هشام بن عروة في العراق، ولم يرو عنه هذا الحديث إلا العراقيون، فنقول:

لم ينفرد العراقيون في رواية هذا الحديث عن هشام، بل قد رواه مدنيون، فرواه أحمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام،[٤٠] ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام[٤١]، ورواه سفيان بن عيينة وهو مكي،[٤٢] وبذلك تسقط علة انفراد العراقيين في روايته عن هشام، ويثبت أن هشاماً قد رواه في العراق والمدينة، ويسلم الحديث من هذه العلة أيضاً.

٢- نقد المقايسة التاريخية

بما أن دليل المقايسة التاريخية هو عمدة الأدلة التي استند عليها الفريق الذي يرى أن سن عائشة كان ١٨ سنة عندما بنى بها النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد من أن نخضعه للنقد والتدقيق، وذلك وفق الآتي:

أ. سن أسماء حين ولادتها ووفاتها وبكم سنة تكبر عائشة

من خلال رجوعنا إلى المصادر التي اعتمدوا عليها لا نجدها متفقة على السنة التي ولدت فيها أسماء رضي الله عنها، وغنما نجد اختلافاً واضحاً في ذلك، ففي الوقت الذي نجد الطبري يركن إلى أنها ولدت قبل التأريخ بـ٢٧ سنة وكذلك أبو نعيم في معرفة الصحابة، إلا أننا نجد أن أبا نعيم يقول في ترجمة أسماء: "كانت أخت عائشة لأبيها، وكانت أسن من عائشة، ولدت قبل التأريخ بسبع وعشرين سنة، وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين."[٤٣] ويظهر من هذا النص عدم التدقيق التاريخي، لأنه إذا كانت ولدت قبل التأريخ بـ٢٧ سنة، فهذا يعني أنها ولدت قبل البعثة بـ١٤ سنة وليس ١٠ سنوات.

---

[٤٠] أحمد، المسند، مصدر سابق: المجلد الواحد والأربعين، ص. ٣٦٠.

[٤١] الطبراني، المعجم الكبير: المجلد الثالث والعشرين، ص. ٢٢.

[٤٢] أبو عوانة، المستخرج، الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية، ط ١، ١٤٣٥/٢٠١٤، المجلد الثالث، ص. ٧٧.

[٤٣] أبو نعيم، معرفة الصحابة، مصدر سابق، المجلد السادس، ص. ٣٢٥٦.

كما أن الحافظ الذهبي يترجم لأسماء، لكنه ينص بوضوح على أنها تكبر عائشة ببضع عشرة سنة فيقول: "وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة،"[٤٤] ومعلوم أن البضع تطلق على ما بين الثلاث وحتى التسع سنوات،[٤٥] فلو افترضنا أنه أراد الحد الأعلى وهو تسع، لوصلنا إلى أن عائشة أصغر من أسماء بـ ١٩ سنة، وهذا يعني أن عائشة ولدت في السنة الخامسة للبعثة، وأن عمرها حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات، وعمرها حين بنى بها تسع سنوات، وهذا موافق تماماً لرواية الشيخين البخاري ومسلم.

وعليه فإنه ليس بمقدورنا الاتكاء على هذه الحسابات التاريخية، لأنها ليست متفقة على رأي واحد لا محيد عنه، عدا عن أن هذه الروايات مبتورة عن أسانيدها، فهي مذكورة في مصادرها التاريخية من غير سند، فكيف نعارضها بالروايات الصحيحة المتصلة الإسناد المروية بثقات الرجال.

ب. سن عائشة بالمقارنة مع سن الزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وننقل نص ابن حجر كما هو في كتابه الإصابة ليظهر مراده تاماً: "واختلف في سنة مولدها، فروى الواقديّ، عن طريق أبي جعفر الباقر، قال: قال العبّاس: ولدت فاطمة والكعبة تبنى، والنّبيّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم ابن خمس وثلاثين سنة، وبهذا جزم المدائني.

ونقل أبو عمر عن عبيد اللَّه بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي- أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النّبيّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم. وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر، وهي أسنّ من عائشة بنحو خمس سنين."[٤٦]

وبالمقارنة بين هذا النص الذي نقلناه من كتاب ابن حجر، وبين القول بأن ابن حجر يذكر في الإصابة أن (فاطمة) ولدت عام بناء الكعبة، والنبي صلى الله عليه وسلم ابن (٣٥) سنة، وأنها أكبر من عائشة بـ (٥) سنوات، بين هذين النقلين تفاوت لا يخفى، ففي النقل الذي أوردوه عن ابن حجر في الإصابة تدليس واضح، وهذا يجعل نقل هذا النص بذلك الشكل المبتور تحريفاً وقلة أمانة. فابن حجر يذكر رواية الواقدي (وهو ضعيف جداً) أن مولدها كان عندما بلغ النبي ٣٥ سنة، ثم ينقل عن أبي عمر عن عبيد اللَّه بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي- أنها ولدت سنة

---

[٤٤] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، المجلد الثاني، ص. ٢٨٨.

[٤٥] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الثامن، ص. ١٥.

[٤٦] ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، المجلد الثامن، ص. ٢٦٣.

إحدى وأربعين من مولد النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم. ثم يذكر الرأي الذي يرجحه فيقول: "وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر، وهي أسنّ من عائشة بنحو خمس سنين". وهذا القول الذي رجحه متوافق مع رواية البخاري في سنة عائشة رضي الله عنها.

٣- نقد الروايات الحديثية الأخرى

ذكروا في معرض الاستدلال على أن سن عائشة كان أكبر من ٩ سنوات خمسة أحاديث نتناولها بالنقد واحداً واحداً:

أ. أخرج البخاري نفسه أن عائشة قالت: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ."[٤٧]

نلاحظ أنهم استدلوا بالحديث من وجهين: الأول: قول عائشة: "لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين"، وقالوا بأن معنى العقل واضح. ولكن لم يستبن لي وجه دلالته على ما يريدون، لأن عائشة تتكلم عن نفسها أنها منذ بدأت تعقل معنى الأشياء كان أبواها مسلمين، وهذا ليس فيه دليل لأي من الفريقين، كما أن الاستدلال بكونها عقلت زيارات رسول الله لأبيها لا يدل على المقصود، فهي تتحدث عن الزيارات التي عقلتها لا عن كل زيارة زارها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدليل أنها ساقت هذه المقدمة لتتحدث عن زيارة رسول الله قبيل هجرته، وسنها وقتها ثماني سنوات، وهي عاقلة وقتها.

الوجه الثاني: الاستدلال بأن أبا بكر كان يريد الهجرة إلى الحبشة عقب إيذاء قريش له، وكانت الهجرة في السنة الخامسة، وهذا استدلال غير سديد، فأبو بكر أراد أن يهاجر وحده، ولم تكن هذه النية في السنة الخامسة، وإنما هي بعد فرض الصلاة، بدليل أن تتمة الرواية تتحدث عن صلاة أبي بكر ثم بنائه مسجداً بفناء داره، ثم ردّه جوار ابن الدَّغِنَة، وبعدها عقد العزم على الهجرة إلى المدينة بعد أن أخبر النبي أصحابه بدار هجرتهم، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينتظر لأن الله قد أذن لنبيه بالهجرة إلى المدينة.[٤٨]

وهذا يجعل الاستدلال بهذا الحديث استدلال في غير محله.

---

[٤٧] البخاري، في الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده، وفي مناقب الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٥).

[٤٨] ابن كثير، السيرة النبوية، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٦ م، المجلد الثاني، ص. ٦٦.

ب. استدلالهم بحديث خولة بنت حكيم، وعرضها على رسول الله أن يتزوج بكراً أو ثيباً، وقولهم: من المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضهن للزواج الحالي بدليل قولها: (إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً) ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة في ذاك الوقت طفلة في السادسة من عمرها، وتعرضها خولة للزواج بقولها (بكراً). اقول: ليس في الحديث ما يدل على أنها عرضت عليه الزواج بها حالاً، كما أن استدلالهم بصدر هذا الحديث ينتقض بآخره، فقد صرّحت في آخر هذا الحديث بقولها: "فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ،"[٤٩] ولا شك أن التصريح أقوى دلالة من الاستدلال بسياق الحديث.

على أن في سند هذا الحديث مقالاً، فهو من رواية محمد بن عمرو، وهو صدوق له أوهام.

ج. استدلالهم بأن المطعم بن عدي كان قد خطب عائشة لابنه جبير، ويستحيل أن يوافق أبو بكر على خطبة ابنته من رجل كان يؤذي المسلمين، كما أن جبيراً رجل كبير، كان يقاتل مع الكفار في بدر وأحد، فلا بد أن يكون قد خطب عائشة قبل بدء البعثة.

أقول: في هذا القول بذور نقضه، فهو ينفي أن تتم الخطبة على طفلة صغيرة، ثم يثبتها لجبير قبل الإسلام، فهم يزعمون أن عائشة ولدت قبل البعثة ب٤ سنوات، فإذا كان المطعم قد خطبها لابنه قبل بدء الدعوة فلا شك أنه خطبها وهي لم تتجاوز الرابعة من عمرها أو أقل من ذلك، فلم جاز هذا –عقلاً– في حق المطعم ولم استحال بحقه صلى الله عليه وسلم.

أما دعوى أن أبا بكر ما كان ليخطب ابنته من رجل يقاتل المسلمين، فهي مجرد دعوى تفتقر الدليل، بل إن المعروف أن المطعم كان كافّاً عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: "لو كان مطعم بن عدي حياً، لوهبت له هؤلاء النتنى"، و ذلك ليدٍ كانت لمطعم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أجاره حين رجع من الطائف، وقام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم، حين حصروا في الشعب، وكان مبقياً في نفسه، لم يكن يشرف لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يؤذيه، ولا يؤذي أحداً من المسلمين، كما كان يفعل غيره.[٥٠]

أما قتال جبير للمسلمين فقد كان بعد هذه الحادثة بسنين.

---

[٤٩] أحمد، المسند، مصدر سابق: المجلد الواحد والأربعين، ص. ٥٠٢.

[٥٠] المزي، تهذيب الكمال، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٠٠/١٩٨٠، المجلد الرابع، ص. ٥٠٧.

د. استدلالهم بحديث عائشة أنها كانت حين نزول سورة القمر جارية تلعب، وأنه من المتفق عليه أن سورة القمر نزلت في السنة الرابعة من البعثة، وهذا يتناقض مع كون عائشة ولدت في السنة الرابعة من الهجرة، مما يجعل الرواية التي يستند إليها الفريق الأول في تحديد سِنّ عائشة غير صحيحة.

أقول: لا أدري من أين جاء هذا الاتفاق على كون سورة القمر نزلت في السنة الرابعة من البعثة، فبعد بحث وتنقيب لم أجد أحداً من المفسرين –بعد اتفاقهم على أنها سورة مكية- يذكر سنة نزولها،[٥١] اللهم إلا ما ورد عن ابن عباس أن بين غزوة بدر ونزول آية: {**سيهزم الجمع ويولون الدبر**} [القمر:٤٥] سبع سنوات،[٥٢] ومعلوم أن غزوة بدر كانت في السنة الثانية من الهجرة، أي أن نزول هذه السورة كان في السنة الثامنة من البعثة، ووقتها كانت سن عائشة رضي الله عنها أربع سنوات، وفق ما هو معروف من أنها ولدت في السنة الرابعة من البعثة. أما على قول من قال أنها ولدت قبل البعثة بأربع سنوات فيكون عمرها ١٢ سنة، وهي ليست بسن اللعب عند العرب في تلك الفترة.

هـ. استدلالهم بحديث: لا تنكح البكر حتى تستأذن، وأن عائشة عندما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم كانت صغيرة لا يُعْتَدّ بإذنها حتى لو حصل.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأن هذا الحديث على عمومه، عند من يقول به، في كل بكر، إلا الصغيرة ذات الأب، فإن لأبيها أن يزوجها من غير أن يستأذنها، بدليل قصة عائشة، وإجماعهم على أن ذلك صحيح،[٥٣]

بل إن مذهب الشافعية على أن للأب أن يزوج ابنته البكر ولو كانت بالغة من غير أن يستأذنها،

---

[٥١] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية ، ط ٢، ١٣٨٤/ ١٩٦٤: ج١٧، ص. ١٢٥، والرازي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٠، المجلد التاسع عشر ص. ٢٨٨، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤٢٢، المجلد الخامس، ص. ٢١١، والماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ط، د.ت، المجلد الخامس، ص. ٤٠٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤١٩، المجلد السابع، ص. ٤٧٠.

[٥٢] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق: المجلد السابع عشر، ص. ١٤٦.

[٥٣] انظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧: المجلد التاسع عشر، ص. ١٠٠.

لكبير شفقته ورحمته بها.[٥٤]

وقد ورد في بعض روايات الحديث تفسير (البكر) باليتيمة، ففي الحديث: "تُسْتَأْمَرُ الْيَتِيمَةُ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ سَكَتَتْ فَهُوَ رضاها، وإن أبت، فلا جواز عليها." [٥٥] قال النووي: "فلما أوجب استئذان اليتيمة دل على أن غير اليتيمة لا تستأذن، ومن لها أب أو جد فليست بيتيمة.[٥٦]

هذه هي جملة الأدلة التي استدلوا بها، وقد رأينا أن أياً منها لا يصمد أمام البحث والتدقيق العلمي.

رابعاً: القرائن التي ترجح قول أحد الفريقين

مع أن البحث العلمي قادنا إلى أن تحديد عمر السيدة عائشة رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمانية عشرة سنة قول غير صحيح، إلا أننا سنعزز القول الأول بجملة من الأدلة والشواهد الدالة عليه:

1- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ.»[٥٧] فهذا حديث واضح الدلالة في أن عائشة كانت طفلة حديثة السن، وقد طالبت غيرها بمراعاة حال الطفلة الصغيرة فقالت: "فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ"، وهو يخالف ما ذهب إليه الآخرون.

٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي.»[٥٨]

---

[٥٤] الشافعي، الأم، بيروت: دار المعرفة ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م، المجلد الخامس، ص. ١٩.

[٥٥] ابن حبان، الصحيح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨-/١٩٨٨، المجلد التاسع، ص. ٣٩٢.

[٥٦] النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت: المجلد السابع عشر، ص. ١٦٩.

[٥٧] البخاري، في النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة، حديث رقم (٥٢٣٦).

[٥٨] البخاري، في الأدب، باب الانبساط إلى الناس، حديث رقم (٦١٣٠)، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٤٠). ومعنى: يتقمعن: وفي رواية مسلم: ينقمعن: يتغيبن حياء منه وهيبة، وقيل: يدخلن في بيت آخر.

٣- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ.[٥٩] وهذا الحديث واضح الدلالة في أن عائشة كانت حديثة السن، فغزوة تبوك كانت في السنة التاسعة من الهجرة، وعمرها كان وقتئذٍ قرابة السابعة عشرة، ومع ذلك كانت حريصة على اللعب بألعاب البنات، ولو كانت بنت ست وعشرين سنة (١٨ +٨ = ٢٦) وفق ما يقتضيه القول الثاني فإنه ستكون عازفة عن هذا، لأنها أبعد ما تكون عن الطفولة ومقتضياتها.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث لا بد من أن نسجل النتائج والملاحظات الآتية:

١. روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة أنها كانت تبلغ من العمر ست سنوات عندما عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وتسع سنوات حين دخل بها في المدينة.

٢. استدل بهذا الحديث من رأى أن هذه هي السن التي تزوج فيها النبي صلى الله عليه وسلم عائشة.

٣. ذهب آخرون إلى أن حديث البخاري هذا باطل لا أصل له، وهو "كذبة كبيرة" كما وصفه البحيري، وهو معارض بالتاريخ والأحاديث الثابتة.

٤. استدلوا بالمقايسة التاريخية كأساس لإثبات مزاعمهم. فقالوا إن عائشة كانت أصغر من أختها أسماء بعشر سنوات، وهذا ما تتفق عليه كل المصادر التاريخية، وتذكر ذات المصادر أن أسماء ولدت قبل البعثة بأربعة عشر سنة، وهذا يعني أن عائشة ولدت قبل البعثة بأربع سنوات، وأن عمرها حين تزوجها رسول الله ودخل بها كانت ثمانية عشر سنة.

٥. وقد أثبت البحث أن النقل عن المصادر التاريخية غير صحيح، فليست هذه المصادر متفقة على سنة ولادة أسماء، كما أنها ليست متفقة أن بينها وبين عائشة عشر سنوات، بل منها ما تذكر

[٥٩] أبو داود، في الأدب، باب اللعب بالبنات، حديث رقم (٤٩٣٢).

أن بينهما بضعة عشر سنة، وهذا يضعف دليلهم الأساس.

٦. كما استدلوا بمقايسة عمر عائشة مع فاطمة الزهراء رضي الله عنها، حيث زعموا أن فاطمة ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وأنها أكبر من عائشة بخمس سنوات. بينما أثبت البحث أن هذا تدليس في النقل وقلة أمانة، فنفس المصدر الذي نقلوا منه يثبت أن فاطمة ولدت قبل البعثة بسنة واحدة، وأن بينها وبين عائشة خمس سنوات، وهذا ما يتفق تماماً مع رواية البخاري.

٧. كما استدلوا بجملة من الأحاديث الأخرى الصحاح في البخاري وغيره، ولكنهم حرفوا هذه الأدلة بما يتفق مع رأيهم، وقد أثبت البحث أن كل هذه الأدلة لا تؤيد ما ذهبوا إليه.

٨. كما حاولوا الطعن في رواية البخاري من ناحية السند، فزعموا أن هشام بن عروة قد انفرد بروايتها عن أبيه، وانفرد أبوه بروايتها عن عائشة، ولم يروها عن هشام إلا العراقيون، وهشام ضعيف فيما حدث به في العراق. وقد أثبت البحث أن هشاماً لم ينفرد، بل تابعه على ذلك الزهري وغيره، وكذلك عروة لم ينفرد، بل تابعه عليه الأسود وابن أبي مليكة وغيرهما، كما أن العراقيون لم يختصوا بحديث هشام هذا، بل رواه المدنيون والمكيون عن هشام. وبذلك يبطل انتقادهم.

٩. وقد تأيد القول الأول بجملة من الأحاديث الصحيحة الدالة على أن عائشة كانت طفلة صغيرة، فقد كانت تحب أن ترى لعب الحبشة في المسجد، وتوصي بأن يقدر قدر الجارية الحديثة السن، وكانت تلعب بألعاب البنات، وكانت تصنع حصاناً بأجنحة تلعب به، وغير ذلك مما يؤيد القول بأنها كانت صغيرة.

١٠. وقد خلص البحث إلى أن سن عائشة رضي الله عنها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم هي كما وردت في البخاري ومسلم؛ ست سنوات حين عقد عليها، وتسع سنوات حين بنى بها. ولم يكن هذا بالأمر المستغرب في عصرهم، حيث كانت الأعراف تقبل أمثال هذا الزواج، إضافة إلى أن سن البلوغ للفتاة في المناطق الحارة تكون قبل نظيراتها ممن يعشن في المناطق الباردة.

١١. نلاحظ أن الفريق الثاني قد أسلم نفسه لروايات تاريخية غير ذات سند، وعدّها من المسلّم به، وطعن في روايات ثابتة السند، وهذا منهج غريب، فكيف نرجح رواية بغير سند على رواية معروفة الرجال متصلة السند.

١٢. كما نلاحظ أن الفريق الثاني يجعل العقل حاكماً على النص النبوي، فيرى أن العقل لا

يقبل أن تتزوج فتاة بعمر التاسعة، ويرى أن رد رواية البخاري دفاع عن الإسلام، والحق أن هذا منهج غير سديد، فلو ردت النصوص لعدم استساغتها عقلاً، لردت نصوص كثير لا تنسجم مع عقول البعض، وربما ما أراه أنا غير منسج مع عقلي يراه غيري منسجماً تماماً، وهذا يجعل النصوص ألعوبة بأيدي العابثين. ولكن هذا لا يعني أن نقبل نصوصاً تعارض العقل، وإنما لهذا الأمر قواعد تضبطه، كأن يكون التعارض مستحكماً، والنص لا يقبل تأويلاً، وأن يكون النص معارضاً لما تتفق عليه جميع العقول أنه من المستحيلات العقلية، كأن لا يرى أن الواحد نصف الاثنين وما أشبهه.

١٣. يوصي البحث بأن تفرد دراسات لوضع ضوابط لحل التعارض بين العقل والنصوص، وأن لا يترك الأمر للتشهي، فكل ما لا تقبله نفوسنا نزعم مناقضته للعقل، وفي هذا من المفسدة الشيء الكثير.

١٤. كما يوصي البحث بضرورة إفراد دراسات في مسألة عرض السنة على غيرها من المصادر والقواعد الضابطة لذلك.

وفي الختام: أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل عنده، فإن يك صواباً فهو توفيق من الله تعالى، وإن يك غير ذلك فهو مني ومن الشيطان. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

"دراسة الروايات الحديثية والتاريخية التي تبين سِنّ السيدة عائشةعندما تزوجها النبي"

الملخص: يحاول هذا البحث مناقشة الأقوال التي تحدد سن السيدة عائشة حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، حيث وردت رواية في البخاري ومسلم تحدد أن سنها كانت ست سنوات حين عقد عليها وتسع سنوات حين دخل بها، بينما يرى خرون أن سنها كانت أربعة عشرة سنة حين عقد عليها وثمانية عشرة سنة حين دخل بها، وكان أساس اعتمادهم على المقايسة التاريخية بينها وبين سِن أختها أسماء، إضافة إلى روايات حديثية أخرى استدلوا بها. وقد توصل البحث إلى أن رواية البخاري صحيحة، سالمة من المعارضة، وأن ما زعموه من المقايسة التاريخية بين سن عائشة وأسماء غير صحيح، كما أن الرواية العارية عن السند تعارض برواية ذات سند صحيح متصل ورؤاه.

عطف: نماء محمد البنا، "منهجية التعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين: حديث موسى وملك الموت أنموذجا"، مجلة بحوث الحديث، المجلد السادس عشر، العدد الأول، 2018، ص. 59-79

الكلمات المفتاحية: عائشة، سن الزواج، حديث، تاريخ، زواج النبوي.

"Allah Resûlü ile Evlendiğinde Hz. Âişe'nin Yaşı Üzerine Hadis ve Târih Rivâyetleri Üzerine Bir Tetkik"

Özet: Bu ilmî Bu araştırmada Hz. Âişe peygamberle evlendiğinde kaç yaşında olduğu konusu ele almaktadır. Buhârî ve Müslim'in bir rivâyetlerinde peygamber onunla evlen-

diğinde yaşını altı olduğunu ve yaşını dokuza varınca onunla zifafa girdiklerini söylemektedir. Buna karşı bazı kimseler, Hz. Âişe'nin on dört yaşındayken onunla evlendiğini ve on sekiz yaşında beraber olduğunu ileri sürmektedir. İkinci görüş benimseyenlerin esas aldığı delil, Hz. Âişe ve ablası Esmâ'nın yaşını tarihi mukayeseye tabi tutmalarıdır. Bunun yanı sıra da birkaç hadisi de delil göstermişlerdir. Bu konudaki araştırma bize Buhârî rivâyetinin sahîh ve güvenilir olduğunu, hiç çelişki ihtiva etmediğini ve ikinci iddianın sahiplerinin yaptıkları tarihi mukayesenin yanlış olduğunu، dayandıkları hadisin sahîh senedinin bulunmaması sebebiyle Buhârî'nin rivâyetiyle çeliştiğini göstermektedir.

Atıf: Abdulazīz Muhammed el-KHALEF, "Dirîsâtü'r-Rivâyâti'l-hadîsiyye ve't-târîhiyyeti'l-letî tübeyyinü sinne 'Âişe 'ındemâ tezevvecehâ'n-Nebiyy" (in Arabic), *Hadis Tetkikleri Dergisi* (*HTD*), XV/١, 2018, ss. 59-79.

Anahtar kelimeler: Âişe, Yaş, Evlilik yaşı, History, Hadîs, Hz. Peygamber'in evliliği.